العدول الصرفي في القرآن الكريم

د. ماجدة صلاح حسن
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية – كلية المعلمين
جامعة السابع من إبريل

www.bulletin.7aprilu.edu.ly

مقدمة:

انفرد القرآن الكريم بأسلوبه الذي بهر أهل اللغة قبل غيرهم، وكان هذا الأسلوب الخلاب الذي تميّز بألفاظه المنتقاة بعناية والتي لا تقبل الترادف أو التغيير، وتراكيبه وجمله أحد أسباب إعجازه، إذ نرى التفنن والتنوع الذي يعطي للكلمة ما لا تعطيه كلمة أخرى بوزن معين وطريقة مبتكرة مما يضيف إلى معنى الكلمة معان ودلالات لا تتأتى إلا من خلال الصيغة التي جاءت بها، لذا نرى في هذا الأسلوب العظيم عدولا في أوزان وصيغ بعض الكلمات، واستخداما للكلمة المفردة أو لجمعها، فيأتي أحيانا بالكلمة في صيغة الإفراد،

وفي مكان آخر يأتي بها على صيغة الجمع، ولكل منها دلالات إضافية لا تقبل التغيير أو التبديل.

ومن هذا المنطلق فإن هذا البحث المتواضع يبحث في العدول الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم، وبيان الدلالات المختلفة التي أضافها هذا الخروج عن المألوف، فكلام المولى -عز وجل- لا يضاهيه كلام البشر.

وقد قسّم الأسلوبيون الأداء اللغوي للكلام إلى مستويين:

المستوى المثالي: وفيه تتجسد قوانين النحو كاملة، وتتجلى الصورة المثالية للغة.

والمستوى الإبداعي: وفيه يتم الخروج عن النمط العادي للكلام بمخالفة مثالية للغة وانتهاك قوانينها والعدول عن أعرافها مما يسهم في توليد المعاني المبتكرة(1)، وهو ما يسمى العدول عن النظام اللغوي أو الأصل.

مفهوم العدول في التراث العربي:

وفي تراثنا العربي نجد إشارات ولمحات لمفهوم العدول مع اختلاف المصطلح، وعدم دراسته وتحليل مكوناته، فقد أجمع علماء العربية قديما على أن أسلوب القرآن العظيم خارج عن المألوف من كلام البشر، وهذا يبيّن تنبّه العرب إلى هذه الظاهرة الأسلوبية بمفهوم مغاير، إذ أجازوا للشاعر ما لم يجيزوه للناثر من عدول عن أصل اللغة، وظهر أكثر وضوحا في العصر الإسلامي لوقوعه في لغة القرآن الكريم، فتناوله علماء النحو والفقه والأصول بتسميات مختلفة منها: العدول والانزياح والانحراف والخرق والخروج عن سنن اللغة والمجاز والالتفات.

وقد كثر ورود كلمة (الخروج) في دراسات الإعجاز القرآني مثل قول الأصمعي: "إن الشيء إذا فاق في حسنه قيل له خارجي"(2). أما الخروج عند ابن جني فهو خرق للأصول، قال: "لقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف

وليس الشيء من ذلك إلا عن دليل عليه وألا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب من معرفته"(3).

أما الرماني فقد استعمل مبدأ(نقض العادة) ليبيّن الأسلوبية النوعية للقرآن، فقال: "إن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها: الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة"(4)، فقصد نقض العادة أو عدول عن الكلام المتعارف عليه في الأنواع الأدبية وغير الأدبية من كلام البشر.

في حين استعمل عبد القاهر الجرجاني مصطلح العدول في وصف الكلام الأدبي إلى جانب القول الشعري العادي واللحن فقال: "واعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول للكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة، وكل ما فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر، فما ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذ وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية"(5)، ويقصد من قوله ترك طريقة في القول معروفة إلى طريقة أخرى لأنها أحسن ولمعنى زائد سببه حاجات في التعبير يقصر التعبير الحقيقي عن تأديتها.

ويرى القرطاجني أن العدول في إثارة المفاجأة" ولمّا كانت النفوس تحب الافتتان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدد الكلام عليها، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك....فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه"(6) . فالقرطاجني يرى أن عنصر المفاجأة والمجيء بما هو غير

www.bulletin7april.edu.ly

متوقع وبما لم يتعارف عليه يشكل خروجا عن النمط المألوف، وهذا ما يراه العلماء المحدثون.

www.bulletin.7aprilu.edu.ly

عند المحدثين:

يطلق اللسانيون والمحدثون على هذا المفهوم تسميات كثيرة، قال المسدي: "هذا العدول قد عبّر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها: الانحراف، والانزياح، والانحلال، والانتهاك، والتجاوز، والمخالفة، واللحن، وخرق السنن، والشناعة، والإطاحة، والتحريف،..."(7).فهذه المصطلحات هي ترجمة لكلمة (Ecart) بالفرنسية.

فالانزياح يحمل معنى عدل وحرف، وهو من المصطلحات المتداولة التي تطلق للدلالة على العدول عن النمط العادي للغة، " والملاحظ في الأسلوب القرآني أن فيه سعيا متكررا مقصودا إلى الانزياح عن قانون المطابقة انزياحا يلفت فنيا نظر المتلقي ويلفت تأويليا وإعجازيا نظر المفسّر"(8).وهذا المصطلح لا يمكن أن يشمل كل النصوص فإن جاز لنا إطلاقه على النص الشعري أو الأدبي، فإنه لا يليق بالنصوص المقدسة، ومع تمسك بعض الأسلوبيين على هذه الترجمة الحرفية للمصطلح أدى إلى إيثار إحياء المصطلح العربي القديم (العدول) لأنه أحسن من الناحية العلمية، إذ يسمح بتوحيد المصطلح لإمكانية إطلاقه على النص القرآني، وطالما هو موجود في تراثنا القديم، فمن الأولى أن نتمسك به، أما مصطلح الانحراف فإنه يصف السلوك والمنهج، فهو يخص الدراسات النفسية.

ويمكننا تعريف العدول بأنه: خروج عن النمط المألوف، أو هو انتهاك وكسر الناطق أو الكاتب لأعراف الكلام الذي يستخدمه مع تحقيق الفائدة أو ما يحسن السكوت عنه.

معيار العدول:

هل نعد كل خروج عن المألوف عدولا؟ وهل هناك معايير لهذا الخروج؟

للخروج عن النمط المألوف إلى نمط غريب غير متوقع معايير وإن لم تكن ثابتة، فهي متغيرة وهذا التغير يتسبب في إشكالية جديدة" ..تغير المعيار وعدم ثباته، لأن الاستعمال اللغوي في تطور مستمر، وكثيرا ما يحدث أن تتحول بعض الأساليب المجازية والصور البلاغية لكثرة تكرارها، إلى قوالب جاهزة واستعمالات متداولة على كل الألسنة، فتفقد بذلك قيمتها الأسلوبية وتصبح لا فرق بينها وبين الاستعمالات الأخرى فيصعب بذلك تحديد المعيار تحديدا دقيقا ونهائيا"(9).

مفهوم العدول الصرفي:

الصرف هو العلم بأحكام بنية الكلمة وبما لأحرفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وإبدال، وهو يطلق على شيئين:

1) تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كتحويل المصدر إلى صيغ الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل ...
2) تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها ولكن لغرض آخر ينحصر بالزيادة والحذف والقلب وغيره(10).

ويعرف العدول الصرفي بأنه ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول. وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان وصيغ معروفة في اللغة العربية بالاشتقاق" وقد أخضعت هذه الزوائد الصوتية الصيغ إلى معايير قياسية سجلت معها منظومة التحكم الصرفية العربية أوزان"(11). إن لكل حرف يضاف إلى صيغة صرفية زيادة في المعنى، قال ابن جني: "إن زيادة المبنى إنما جاء به لمعنى"(12) فكل زيادة في بناء صيغة الكلمة الصرفية تستوجب زيادة في الدلالة، فاللغة العربية لغة مطاوعة مرنة يمكن اشتقاق عدد كبير من المفردات" والزيادة في الكمية الصوتية تشكل ما يمكن أن يطلق عليه (القرائن الصرفية الدلالية) أو المورفيمات التي توصف بأنها عناصر صرفية

www.bulletin.zu.edu.ly

صغرى ذات قيم تمييزية تكمن في الوظائف التي تؤديها، وهذه الملحقات الصرفية التي يعبّر عنها المورفيم باعتباره علامة تتوزع على ثلاثة أنواع: السوابق والدواخل واللواحق تؤدي هذه الزيادات الصوتية إلى استيعاب دلالات جديدة"(13).

العدول في التعبير القرآني:

من وجوه إعجاز القرآن الكريم ألفاظه التي اختيرت بعناية شديدة، ولا يمكن تفهّم اختيار المفردة القرآنية إلا من خلال دراسة العدول إليها عن غيرها لزيادة فيها، أو خصيصة بيانية يحتاجها السياق، ويمكن تتبع العدول القرآني من خلال:

- **العدول من صيغة إلى أخرى:**

فكل صيغة تحمل معها دلالة لا تحملها صيغة أخرى مثل صيغة(فعل) التي تدل على مجرد الفعل لمرة، و(فعّل) تدل على التكثير والتكرير، فلفظة(نزّل) وردت بصيغ مختلفة في القرآن الكريم بما تخدم السياق، وتضفي دلالة إضافية على المعنى، قال تعالى: ﴿نَزّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران3)، وردت لفظة نزل بصيغتين مختلفتين في سياق واحد، إذ جاء بالفعل(نزّل) المتعلق بالقرآن الكريم؛ لأنه نزل منجما ولم ينزل دفعة واحدة، في حين استخدم لفظة(أنزل) المتعلق بالتوراة والإنجيل؛ لأنهما انزلا دفعة واحدة فاختلفت الصيغتان لاختلاف النزول.

وجاء بصيغة(فعّل) في وصف أصحاب الرسول -$- قال تعالى: ﴿مّحَمّدٌ رّسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّآءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكّعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً﴾ (الفتح29)، جيء بصيغة(فعّل) للدلالة على كثرة صلاتهم وسجودهم وعبادتهم لله.

www.bulletin.zu.edu.ly

وقال في موضع آخر: {وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} (الحاقة6)، الصر: برد شديد يضرب النبات والحرث كما جاء في المعاجم، والصرصر: ريح باردة، وقيل: أصلها صررّ من الصرّ فاللفظتان أصلهما واحد ولكن اختلاف الصيغة(فعّل، وفعلل) جعل لكل منهما دلالة إضافية، فالآية الأولى جاءت في معرض تشبيه ما ينفقه الكفار من أموال للمفاخرة وطلب حسن الذكر بين الناس لا يبغون وجه الله شُبهوا بالزرع الذي أصابه برد شديد فجعله حطاما، لذا عدل إلى صيغة فعّل إذ لم يكن التركيز على نوع العذاب أو العقوبة بقدر ما كان الأهم بيان ضياع أجر ما يقدمه الكفار بغية التباهي، أما في آية آل عمران فقد ذكر –سبحانه– الريح التي أرسلت إلى قوم عاد عقوبة لهم على كفرهم، فعدل إلى لفظة صرصر التي دلت بهذه الصيغة على الريح العاصفة التي يكون لها دوي من شدة سرعة تنقلها، فضعّف العين للمبالغة في شدتها بين أفراد نوعها، إذ ببيان ذلك أعطت دلالة واضحة على مقدار الدمار الذي حلّ بهم وتكراره؛ لأنها تبيّن العذاب والعقاب الذي ألمّ بالكفار.

– العدول عن صيغة(فعل) إلى صيغة (افتعل):

قال تعالى: ﴿وَمَن لّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنّهُ مِنّيَ إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاّ قَلِيلاً مّنْهُمْ﴾ (البقرة249)، ولم يقل: إلا من غرف مثلا، ولكنه عدل عنه وجاء بمطاوعه على وزن افتعل للدلالة على حدوث الفعل من صاحبه بجد وإصرار وسعي، ذلك لأن الإنسان إذا كان ظمآنا فمن الصعب عليه التحكم في كمية شربه وقت عطشه، لذا امتحن الله قوم موسى –عليه السلام– بهذا الاختبار الصعب، فما استطاع اجتيازه إلا قلة من أتباعه استجابوا لأمر الله، فعدل إلى هذه الصيغة للدلالة على قوة عزم المؤمنين من أتباع موسى –عليه السلام– ولو جاء بصيغة(فعل) لدلت على حدوث الفعل فقط، ولم تفد ما صاحب صيغة (افتعل) من دلالة إضافية توضح المعنى.

www.bulletin.7aprilu.edu.ly

ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِئَايَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر42)، عدل عن صيغة فاعل فلم يقل: قادر إلى صيغة (افتعل) لأنها أبلغ ففي العدول إلى هذه الصيغة إضافة دلالات أخرى، إذ بيّنت شدة الأخذ الصادر عن قوة الغضب، كما أفادت الدلالة على بسط القدرة، فالمقتدر أبلغ في البسطة من القادر.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (الكهف28)، ففي قوله تعالى: "أغفلنا" أي: نسبناه للغفلة، كقول القائل: أكفرت فلانا، إذا نسبته إلى الكفر، وأبخلته إذا نسبته إلى البخل"[14]. فمن التأويلات لهذه الصيغة الصرفية:

- "أن يكون المراد سميناه غافلا بتعرضه للغفلة، فكان المعنى: حكمنا عليه بأنه غافل. كما يقول القائل:قد حكمت على فلان بأنه جاهل، أي لمّا ظهر الجهل منه وجب هذا القول فيه"[15].
- "أن يكون ذلك من باب المصادفة، فيكون المعنى: صادفنا قلبه غافلا، كقول القائل: أحمدت فلانا أي وجدته محمودا، وذلك يؤول إلى معنى العلم، فكأنه تعالى قال: "علمناه غافلا"[16].

وقال الزمخشري (ت 538 هـ) في "الكشاف": "من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان، أو وجدناه غافلا عنه"[17].

وقال ابن القيم الجوزية (ت 751 هـ): "فإنه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره فغفل هو. فالإغفال فعل الله والغفلة فعل العبد. ثم أخبر عن أتباعه هواه، وذلك فعل العبد حقيقة والقدرية[18] تحرف هذا النص وأمثاله بالتسمية والعلم، فيقولون: معنى أغفلنا قلبه سميناه غافلا أو وجدناه غافلا، أي: علمناه كذلك، وهذا من تحريفهم. بل أغفلته مثل أقمته وأقعدته وأغنيته وأفقرته أي:

جعلته كذلك... وهل يخطر بقلب الداعي: اللهم أقدرني أو أوزعني وألهمني أي سميني وأعلمني كذلك"(19).

ومرد هذه التأويلات المختلفة في حقيقتها إلى الالتزام باللغة، وما تعنيه من دلالات ثم ربط هذه الدلالات اللغوية صرفية أو نحوية أو لفظية بمقصد الشارع الحكيم فالدلالة في الفعل الذي جاء على صيغة أفعلت دلالة مشتركة تدل على أنه وجد الشيء على صيغة معينة، مثل: أكرمت زيدا، والمعنى أنك وجدته كريما، وقد يحمل معنى أنك جعلته كريما، فهذا الاشتراك في دلالة الصيغة الصرفية أدى إلى الاختلاف في معنى النص القرآني، ويبقى الحكم للسياق القرآني الذي يحدد المعنى.

وقال ابن جني (ت 392 هـ): "ولن يخلو "أغفلنا" هنا أن يكون من باب أفعلت الشيء صادفته ووافقته كذلك"(20). وقد دعم رأيه بقول الشاعر:

فأصممت عمرا وأعميته   عن الجود والمجد يوم الفجار

فقال ابن جني مستشهدا: "أي صادفته أعمى، وحكى الكسائي: دخلت بلدة فأعمرتها, أي وجدتها عامرة، ودخلت بلدة فأخربتها أي وجدتها خرابا ويكون ما قاله الخصم: أن معنى أغفلنا قلبه: منعنا وصددنا، نعوذ بالله من ذلك، فلو كان الأمر على ما ذهبوا إليه منه لوجب أن يكون العطف بالفاء دون الواو وأن يقال: "ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه". وذلك أنه كان يكون على هذا الأول علة للثاني والثاني مسببا عن الأول ومطاوعا له، كقولك أعطيته فأخذ، وسألته فبذل، لما كان الأخذ مسببا عن العطية, والبذل مسببا عن السؤال، وهذا من مواضع الفاء لا الواو ألا ترى أنك إنما تقول جذبته فانجذب, ولا تقول وانجذب, إذا جعلت الثاني مسببا عن الأول ونقول كسرته فانكسر، واستخبرته فاخبر, كله بالفاء، فمجيء قوله تعالى: "واتبع هواه" بالواو دليل على أن الثاني ليس متسببا عن الأول، على ما يعتقده المخالف. وإذا لم يكن عليه كان معنى

www.bulletin.7apriluedu.ly

أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي صادفناه غافلا على ما مضى، وإذا صودف غافلا فقد غفل لا محالة"(21).

العدول من الإفراد إلى الجمع والعكس:

غالبا ما لا نجد فرقا في الدلالة والمعنى بين اللفظ في حالتي الإفراد والجمع، ولكن في ألفاظ القرآن الكريم المعجزة هناك تحول كبير في دلالة اللفظ وتباين في معناها في الإفراد وفي الجمع، فقد تأتي اللفظة القرآنية في موضع بصيغة الإفراد، ويعدل عنها في موضع آخر إلى صيغة الجمع ولكل حالة معناها المستقل تبعا للسياق الذي وردت فيه.

- السماء، السماوات:

وردت لفظة(السماء) في عدد من الآيات مفردة، وفي مواضع أخرى عدل عن الإفراد إلى صيغة الجمع، فإذا أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة نحو قوله تعالى: ﴿سَبّحَ للّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد1) أي: جميع سكانها على كثرتهم، وقال تعالى: ﴿تُسَبّحُ لَهُ السّمَاوَاتُ السّبْعُ وَالأرْضُ وَمَن فِيهِنّ وَإِن مّن شَيْءٍ إِلاّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـَكِن لاّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (الإسراء44)، أي: كل واحدة على اختلاف عددها، فجيء بصيغة الجمع عند بيان العدد وبيان قدرته تعالى.

أما إذا أريد الجهة عدل إلى صيغة الإفراد نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنّاهُ فِي الأرْضِ وَإِنّا عَلَىَ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون18)، إذ بيّن سبحانه أن المطر ينزل من السماء بقدرة الله ورحمته، فبيّن جهة نزول الماء، لذا جاء بصيغة الإفراد.

وقال تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مّن فِي السّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (الملك16).

وهناك ألفاظ اجتمعت بصيغتي الإفراد والجمع في سياق واحد لتدل كل واحدة على معنى إضافي يوضح المعنى ويقويه، قال تعالى: ﴿وَأَنّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُواْ السّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ﴾ (الأنعام153) جاءت لفظة (سبيل) في بداية الآية بصيغة الجمع (سبل) لأنها تدل على الباطل، وللباطل طرق متشعبة ومتعددة، وفي نهاية الآية عدل عنها إلى صيغة الإفراد؛ لأن طريق الحق واحد، وطرق الضلال والشر متعددة فناسب ذلك الإتيان بصيغة الجمع لطرق الشر، والعدول عنها إلى صيغة الإفراد لبيان أن طريق الحق واحد.

- الريح والرياح:

إذا تتبعنا لفظتي الريح والرياح في كلام البشر فإننا لا نجد فرقا بينهما في المعنى، والفرق الوحيد أن الأولى مفردة والثانية جاءت بصيغة الجمع، ولكن القرآن الكريم فرّق بينهما في المعنى من خلال السياق الذي وردت فيه كل لفظة، إذ نجده قد استعمل لفظة (ريح) في موضع العذاب باستثناء ما جاء في سورة ص، قال تعالى: ﴿فَسَخّرْنَا لَهُ الرّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (ص36)، وهذا لا يتعارض مع الآيات التي ذكرت فيها لفظة الريح في موضع العذاب، أو الريح العاصفة؛ وذلك يُفهم من سياق الكلام فبداية الآية أن الله سبحانه – سخّر لسيدنا سليمان الريح العاصف وهذا واضح من سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأرْضِ الّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنّا بِكُلّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء81)، والمعنى: سخرّنا له الريح التي شأنها العصوف وبأمر سليمان –عليه السلام– تصير رخاء بعد أن كانت عاصفة.

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِيَ أَيّامٍ نّحِسَاتٍ لّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخرة أَخْزَىَ وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾

www.bulletin.7arilu.edu.ly

(فصلت16)، فجاء بلفظة ريح ؛لأنها وقعت في موضع العذاب وجاءت كنوع من أنواع العذاب الذي بعثه الله للأمم المكذبة.

وفي آيات أخرى عدل عن لفظة ريح إلى لفظة الرياح بصيغة الجمع حين استخدمت في موضع الخير والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الروم46).

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىَ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَىَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف57). ففيها بشارة للمؤمنين بإغداق الغيث عليهم، فريح المطر تكون لينة وتتفرق في الجهات حتى ينشأ بها السحاب، فعدل إلى صيغة الجمع لتعدد مهابها، وهذا لا يتعارض مع ما سبق، إذ راعى الناحيتين اللفظية والمعنوية، فراعى المقابلة في قوله: ﴿جاءتها ريح عاصف﴾، ومعنوية وهي إقام الرحمة هناك إنما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها.

- **العدول من صيغة الماضي إلى المضارع والعكس:**

الفعل (أتى) في قوله تعالى: ﴿أَتَىَ أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل1)، يدل بصيغته الصرفية على المضي المطلق، في زمن انقضى، إلا أن وروده في السياق يفرض عليه دلالة سياقية يقتضيها السياق ويدل عليها وهي دلالة الاستقبال؛ لأن القرينة اللفظية" فلا تستعجلوه" في السياق النحوي التركيبي تشير بوضوح إلى أنه لم يقع بعد، ومع كونه فعلا ماضيا في الصيغة الصرفية فإننا لا نفرغ هذه الصيغة الصرفية من دلالتها الزمنية ولا نخضعها للدلالة السياقية فقط، إذ لو كان ذلك هو المراد لجاءت الصيغة صريحة بقوله: سيأتي أمر الله، فعدل إلى صيغة الماضي لدلالة

إضافية، فمع الجمع بين الدلالتين الصرفية والنحوية، الإفرادية والتركيبية يمكننا معرفة سبب هذا العدول،إذ المراد" هو توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمنة معنى المضي وموظفة له في الوقت ذاته فكأن المقصود أن أمر الله سيأتي لا محالة مجيئا مقطوعا به، بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل" (23)

– العدول من صيغة اسم المفعول إلى اسم الفاعل:

من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَالّذِينَ يُحَآجّونَ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا اسَتُجِيبَ لَهُ حُجّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (الشورى16).

فقد استعمل اسم الفاعل مكان اسم المفعول في قوله "داحضة" بدل "مدحوضة" قال الشريف الرضى: "وهذه استعارة، والدحض: الزلق، فكأنه قال تعالى: حجتهم ضعيفة غير ثابتة وزلة غير متماسكة، كالواطئ الذي تضعف قدمه فيزلق عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطء وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة، وإذا نسب الفعل إليها في الدحوض كان أبلغ في ضعف سنادها ووهاد عمادها فكأنها المبطلة لنفسها من غير مبطل أبطلها، لظهور أعلام الكذب فيها، وقيام شواهد التهافت عليها، وأطلق تعالى اسم الحجة عليها وهي شبهة لاعتقاد المدلي بها أنها حجة وتسمية لها بذلك في حال النزاع والمناقلة"(24).

ويقتضي الاستعمال العرفي أن لفظة: "مدحوضة" في مكان "داحضة" لأن كل مبنى له معنى يؤديه بحسب الأصل، وقد يعدل به عن أصله لغرض بلاغي أو نفسي يصير بها ذلك الاستعمال ذا معنى عميق فالمعنى السطحي القريب في دلالة اسم المفعول قائم في الذهن ولكن عبر الاستعمال الخارق للقاعدة يتجه العقل إلى المعنى العميق الذي يستدل عليه بقرينة الاستعمال العدولي.

www.bulletin.7aprlu.edu.ly

- العدول عن مصدر الفعل الرباعي إلى مصدر الفعل الثلاثي:

وذلك بأن يأتي بفعل رباعي يليه مصدرا فيعدل إلى مصدر الثلاثي بدل الرباعي، قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران37) في الثناء على مريم قال تعالى {وأنبتها نباتاً حسناً} ولم يقل إنباتاً حسناً لأنه تعالى أراد أن يُثني عليها وعلى معدنها الكريم. يقال أنبت إنباتاً ومريم عليها السلام أنبتها تعالى فنبتت نباتاً حسناً فطاوعت وقبلت أي أن لها فضل في هذا ولو قال تعالى إنباتاً لكان كله عملية لله وحده وليس لمريم أي فضل بمعنى أنه تعالى أنبتها كما يشاء هو لكن الله تعالى أراد أن يثني على مريم ويجعل لها فضلاً في هذا الإنبات فقال تعالى (وأنبتها نباتاً حسناً) أي أنه تعالى أنبتها فنبتت نباتاً حسناً وطاوعت أمر ربها وقبلت وكان من معدنها ما جعلها تنبت نباتاً حسناً، وقد أراد تعالى أن يجمع بين الأمرين أنه تعالى أنبتها كما يشاء وأراد من باب الثناء أن يجعل لها فضلاً في هذا من طيب معدنها وطواعيتها فقال (وأنبتها نباتاً حسناً).

www.bulletin.zu.edu.ly

الهوامش:

1) ينظر: الصور المدنية دراسة بلاغية أسلوبية، عهد عبد الواحد، دار الفكر عمان، ط1، 1999، الفصل الثالث، ص92.
2) الخصائص، ابن جني، تحق: علي النجار وآخرين، دار الهدى بيروت. ج48/3.
3) نفسه، ج362/2.
4) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني، تحق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، لا.ت، دار المعارف بمصر، ص102.
5) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحق: محمود شاكر. مكتبة اليازجي، لا.ت، القاهرة 1984، ص429-430.
6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، ص361.
7) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، الدار العربية، تونس، لا.ت، ص90.
8) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد يوسف هنداوي، ص141.
9) انزياح الخطاب الصوفي عند النفري المواقف والخطابات نموذجا، فريدة مولى، رسالة ماجستير، جامعة تيزي وزو، 2001، ص106.
10) الشامل معجم في علوم اللغة العربية، محمد سعيد، بلال جنيدي، دار العودة، بيروت، ط:2، 1985، ص291.
11) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء، الأردن، ط:1، 2002، ص324.
12) الخصائص، ابن جني، تحق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، ط:3، 1986، ج233/1.
13) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص324.
14) الإعجاز الصرفي، ص52-53.
15) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحق: محمد عبد الغاني حسن، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، 1979، ص211.
16) نفسه، ص212.
17) الكشاف، الزمخشري، دار الفكر، 1979، ج482/2.
18) الخصائص، ج253/3.

19) نفسه، ج254/3.
20) نفسه، والصفحة ذاتها.
21) نفســــــه.
22) تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص297.
23) المرجع السابق، ص307.

www.bulletin.7aprilu.edu.ly